

السبـت 26-09-2009

756- هـدـيةـ العـيـدـ:ـ إـلـإـنـسـانـ حـيـوانـ "ـمـوـبـاـيـلـ"

تعـتـعـةـ الدـسـتوـرـ

فـ العـيـدـ كـنـتـ - وـ مـاـ زـلتـ - أـفـرـجـ إـذـاـ لـبـسـتـ جـدـيدـاـ،ـ أـىـ جـدـيدـ،ـ حـتـىـ لـوـ كـانـ الرـدـاءـ قـدـيـماـ لـكـنـىـ لـمـ أـلـبـسـهـ مـنـذـ مـدـةـ،ـ فـإـنـىـ أـعـتـبـرـهـ جـدـيدـاـ،ـ وـحـينـ كـنـاـ نـفـضـ جـلـبـابـاـ جـدـيدـاـ لـلـعـيـدـ كـنـاـ لـأـنـلـبـسـهـ،ـ وـأـحـيـانـاـ لـأـنـلـعـسـهـ إـلـاـ صـبـاحـ يـوـمـ الـعـيـدـ،ـ كـنـتـ أـشـعـرـ مـجـدـةـ جـلـبـابـ الـعـيـدـ مـنـ حـفـيـفـهـ عـلـىـ جـسـدـيـ لـأـنـهـ لـمـ يـسـبـقـ لـهـ أـنـ رـأـىـ الـمـاءـ،ـ ظـلـ هـذـاـ الـخـفـيفـ كـامـنـاـ فـوـيـ،ـ وـحـينـ اـفـتـقـدـتـهـ ذـاتـ عـيـدـ حـزـينـ،ـ قـفـزـ مـنـ فـيـ قـصـيـدـةـ يـقـولـ:ـ "...ـمـاـ حـاـكـتـ لـيـ جـلـبـابـاـ ذـاـ صـوتـ هـامـسـ،ـ لـمـ يـعـسـسـ الـمـاءـ الـهـاتـكـ لـلـأـعـراـفـ،ـ لـمـ يـتـهـدـلـ خـيـطـهـ،ـ لـمـ تـتـكـشـرـ أـنـفـاسـهـ".ـ كـنـاـ نـفـرـجـ بـالـخـدـيـدـ جـداـ بـرـغـمـ وـعـيـدـ خـطـيـبـ صـلاـةـ الـعـيـدـ أـنـهـ "ـلـيـسـ الـعـيـدـ مـلـنـ لـبـسـ الـخـدـيـدـ،ـ وـلـكـنـ الـعـيـدـ مـلـنـ غـفـرـتـ ذـنـوبـهـ يـوـمـ الـوـعـيـدـ"،ـ كـنـاـ عـلـىـ ثـقـةـ أـنـ اللـهـ سـوـفـ يـرـضـيـ عـنـاـ وـخـنـ فـرـحـونـ بـالـعـيـدـ،ـ وـبـالـخـدـيـدـ مـعـاـ،ـ وـأـنـهـ سـيـغـفـرـ لـنـاـ أـيـضـاـ وـدـائـمـاـ حـتـىـ عـدـمـ سـعـاـتـ خـطـبـةـ الـعـيـدـ الـتـيـ مـنـ رـحـمـةـ رـبـنـاـ أـنـهـ سـنـتـ بـعـدـ الـصـلـاـةـ،ـ رـبـعاـ لـيـجـرـيـ الـأـطـفـالـ أـمـثـالـنـاـ قـبـلـ أـنـ يـمـفـهـمـ خـطـيـبـ آخـرـ مـعـتـهـ بـنـفـسـهـ وـخـنـ مـخـرـجـ مـهـرـولـينـ بـعـدـ الـصـلـاـةـ مـباـشـرـةـ يـصـفـنـاـ بـأـنـنـاـ "ـحـفـرـ مـسـتـنـفـرـةـ،ـ فـرـتـ مـنـ قـسـوـرـةـ"ـ (ـوـلـمـ يـنـتـبـهـ أـنـهـ بـذـلـكـ جـلـ نـفـسـهـ قـسـوـرـةـ!!ـ).

حينـ قـرـأـتـ فـكـرـةـ أـنـ الـمـوـبـاـيـلـ كـادـ يـصـبـحـ عـضـوـاـ جـدـيدـاـ فـ تـرـكـيـبـ إـلـإـنـسـانـ،ـ بـنـاءـ عـلـىـ الـاـسـتـطـاعـةـ الـذـيـ أـجـرـتـهـ شـرـكـةـ جـوـثـ الأـسـوـاقـ "ـسـيـنـوـفـيـتـ"ـ (ـالـشـرـوقـ الـأـحـدـ 6/9ـ)،ـ قـلـتـ فـلـتـكـنـ هـدـيـةـ التـعـتـعـةـ لـقـرـائـهـ هـىـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ الطـرـيـفـةـ.

الـحـكاـيـةـ أـنـ إـلـإـنـسـانـ عـرـ تـارـيـخـهـ تـتـلـخـلـقـ لـهـ أـعـضـاءـ جـدـيدـةـ،ـ كـمـ تـضـمـنـ أـخـرـىـ،ـ وـقـدـ قـرـأـتـ هـذـاـ أـخـيرـ بـاعـتـيـارـ أـنـ الـمـوـبـاـيـلـ (ـوـمـاـ إـلـيـهـ)ـ سـوـفـ يـكـوـنـ اـمـتـدـادـ لـلـوـعـىـ الـبـشـرـىـ الـفـرـدـىـ إـلـىـ الـوـعـىـ الـجـمـعـىـ عـرـ الـعـالـمـ،ـ وـأـتـرـكـ لـكـ أـنـ تـتـخـيـلـ كـيـفـ أـنـ هـذـاـ الـعـفـرـبـتـ الصـغـيرـ قـدـ أـصـبـحـ جـزـءـاـ -ـ يـكـادـ يـكـوـنـ عـضـوـاـ بـيـولـوـجـيـاــ مـنـ وـعـيـنـاـ التـوـاصـلـىـ مـعـاـ.

قـبـلـ وـكـيـفـ يـكـوـنـ ذـلـكـ؟

الأـعـضـاءـ تـتـلـخـلـقـ،ـ وـأـيـضـاـ تـتـلـاـشـىـ حـسـبـ الـاسـتـعـمـالـ:ـ تـنـازـلـ

الإنسان - بفضل الله - عن ذيله فلم يبق منه في أسفل عموده الفقري إلا فقرات عظمية ثابتة أثيرة بلا وظيفة، إنما القصعص، حدث ذلك في مرحلة "الإنسان واقفاً" على ساقين (Homo Erectus)، حين استغنى عن أن يتصلق على الشجر بذيله، مثل أولاد عمومته القردة. على النقيض من ذلك تطورت حركة إصبع الإبهام حتى اكتسب حركته الطليقة من مرونة وتنوع زوايا الاستعمال، فأصبحت لليد البشرية مهارات غير مسبوقة عند أحدياته، أمكنته من أن يمسك القلم، ويبلّم الإبرة ، ويعزف البيانو.

موازاة لذلك، ظلت التكنولوجيا (منذ اختراع الفأس في العصر الحجري الحديث ظهر الزراعة) عاملاً فاعلاً يقوم بالواجب في تشكيل طبيعة الحياة البشرية وسلوك الإنسان، فتركيبة حتى تشكيل حضارته !! . أتصور أن التكنولوجيا الحديثة، بما أتاحت من معلومات وتواصل، قادرة فعلًا على تحليق وعي بشري جديد، ومن فرط تفاؤل تصورت أننا لو اجتهدنا في الطريق الصحيح أكثر فأكثر، لأتمكن لهذا الوعي العالمي/الكوني الجديد أن يواجه وينتصر على ذلك الديناصور المتعلق المسمى: "النظام العالمي (الأنقراضي) الجديد".

مع انتشار هذه الأداة الصغيرة الساحرة ، المزعجة، الرائعة، الخبيثة، المسماة "الموبايل" ممثلة لكل ما هو أعقد وأروع منها، يتقارب الوعي البشري كله إلى بعضه البعض، فتتجلى فرصة رائعة، بقدر ما يمكن أن تكون كارثة مروعة، لنقلة بشريّة عملاقة، أو نكسة تدهورية انقراضية، حسب شطّارتنا ، ومسئوليّتنا .

أنظر حولك، حتى في بلد فقير مثلنا، من أول ابن البواب حتى بنت الوزير، أطفالاً وكباراً، وسوف تعرف مدى انتشار هذه التكنولوجيا الصغيرة القادرة المغيرة بشكل لم يعد قابراً على القادرين دون غيرهم ، ولا هو من اهتمامات الساسة أو التربويين أو الإعلاميين أو الاقتصاديين دون عامة الناس، وهكذا تتضاعف المسؤولية وتتقلّل الأمانة: إما إلى وعي عالمي مسئول وإيجابي خلاق، وإما إلى انقراض استهلاكي اغترابي دماري بشع ، وهكذا تشتعل المواجهة .

التحدي الملقي على كل الناس هو أكبر من رخاوة التأجيل و Miyouya الخلول الوسط، هو فرض عين إذا قام به البعض لم يسقط عن الكل، نعم : كل إنجازات البشر، وكل نعم الله الطبيعية والمصنوعة ، هيأمانة علينا أن نحملها مجّهاً، فرداً فرداً، ثم همّاّعات معاً نصنع الحياة حتى تلقى الله، وإن كنا هذا الإنسان الظالم نفسه، الجاحد قدراته، ("ظلوماً جهولاً").